

أهداف شتى والنتيجة واحدة في ليبيا

محمد أبو الفاضل
كاتب مصري

يبدو أن الغريب لن يتوقف عن الدوران في ليبيا، فبعد أن حققت البلاد خطوة نحو التسوية السياسية بتشكيل سلطة تنفيذية جديدة وتحديد موعد واضح لإجراء الانتخابات عادت الخلافات تتصاعد بصورة حادة، ما جعل بعثة الأمم المتحدة في ليبيا تعترف بلا مواربة بفشل ملتقى الحوار السياسي الذي عُقد في جنيف الأسبوع الماضي بسبب عدم التوافق حول قاعدة دستورية لإجراء الانتخابات.

توقع الكثير من العارفين بما يجري في ليبيا التباين بين أعضاء ملتقى الحوار، وإذا كانوا نجحوا في اختيار مجلس رئاسي وحكومة عنانها الوحدة الوطنية فهذا لأن المجتمع الدولي كان يريد إنهاء فترة فايز السراج التي استنزفت أغراضها، ودفع في هذا الاتجاه بصرامة حتى جاءت النتيجة إلى حد كبير متسقة مع رغبة غالبية أعضاء الملتقى من أصحاب التوجهات الإسلامية والمصالح المرتبطة بها.

يتحمل عدد كبير من الأعضاء الحالة الغامضة بشأن الانتخابات، وهو ما يتسق مع تحذيرات مبركة جاءت من جهات عديدة رأت ميلا في الملتقى لصالح قوى أيديولوجية لا تريد أن تضي ليبيا نحو تجاوز عقباتها إلا إذا واصلت ومن يقفون خلفها السيطرة على مفاصل القرار، والذي يراه له أن يتمركز في طرابلس فقط.

كان التباين حول القاعدة الدستورية التفسير الظاهر لما يمكن وصفه بالانتكاسة السياسية، بينما الخلاف موجود ومتجذر منذ فترة طويلة، فكل طرف يريد تفصيل أطر العملية الانتخابية على القاسم الذي يريده ويحقق أهدافه ويحمي مصالحه، فمن ديورون في فلك التيار الإسلامي وضعوا عراقيل تحول دون ترشح

المشير خليفة حفتر قائد الجيش الوطني الليبي ورهن الانتخابات بالاستفتاء على الدستور. وعملوا على خلق مساحة كبيرة من التنازلات تمنع فكرة التوافق، فرفض حفتر كان يمكن أن يأتي من خلال صناديق الاقتراع طالما أن لهم جمهورا عريضا يلفظه ويحمّله جانباً كبيراً من روافد الأزمة، أما المصادرة المسبقة فهي تعكس شوفينية يسعى الليبيون للتخلص منها، لأنهم لن يستبدلوا جنرا لا بمدني يخدم أغراض شريفة معينة.

الأجواء القاتمة تفسر أحد أسرار عودة تركيا للحديث عن عدم خروجها من ليبيا فقد قرأت المشهد بعناية ووجدت أن الصراع مستمر لأجل غير مسمى فلماذا تضحى بما حققته من مكاسب

كما أن التمسك بمسألة الاستفتاء يعني تجاوز الموعد المحدد للانتخابات، فالتوافق والاستفتاء يحتاجان إلى فترة زمنية سوف تتجاوز موعد 24 من ديسمبر المقبل، وهو التاريخ الذي حددته خارطة طريق الأمم المتحدة لإجراء الانتخابات وإنهاء دور الحكومة الانتقالية التي يقودها عبد الحميد الدبيبة حاليا.

أدى الدخول في تفاصيل أخرى مثل طريقة اختيار رئيس الجمهورية والقائمة الانتخابية والموقف من حملة الجنسية المزدوجة والعسكريين إلى تراشق بين أصحاب الملتقى الحوار المتعارضة، وعلى الرغم من اختلاف

الأهداف، إلا أن كل الفرقاء اجتمعوا على هدف واحد، وهو ترحيل الانتخابات طالما أنها لا تتناسب مع مصالحهم.

يتحمل جزء كبير من اللغط بعثة الأمم المتحدة في عهد السفيرة ستيفاني وليامز التي وثقت في أعضاء الملتقى الذين اختارهم بعناية ومنحتهم صلاحيات كبيرة، وجعلت سلطتهم فوق مجلس النواب الليبي مع أنه الجسم الوحيد المنتخب، وكان من الطبيعي أن تكون النتيجة قاتمة، فبعد انتهاء اجتماعات جنيف لا أحد يعلم كيف تسير الأمور، فالالغام التي نثرتها ستيفاني ورفاقها بدأت تتفجر في وجوه من وثقوا في خطتها.

انتهز الدبيبة فرصة إخفاق من اجتمعوا في جنيف وحاول وضع الكرة في ملعب آخرين، فالج في تصريحات له مساء السبت إلى أن المشير خليفة حفتر يريد تخريب العملية السياسية، وكانها تضي في طريقها الصحيح، ونكا من جديد ملف تلقي حفتر دعما من قوى خارجية، ولم يشر من قريب أو بعيد إلى تزايد التدخلات التركية في ليبيا، وتجاهل الدور القائم الذي تلعبه قوات المرتزقة التابعة للانقرة والمليشيات، ونسي أنه من المتهمين بـ"التواطؤ" مع النظام التركي وجاء على أسنة رماحه.

زاد رئيس الحكومة من اللغط وتعدّد صبّ المزيد من الزيت على النار المشتعلة كي يخلي مسؤوليته عن استمرار الأزمات وعدم قدرته على حل مشكلة واحدة سياسية أو اقتصادية أو أمنية، وحاول إيجاد مساحة أكبر من التشويش على الأوضاع الراهنة وقذف بكرة أخرى في ملعب أحد خصومه المحتملين.

تحدث في إشارة ضمنية لكنها لافتة عن وزير الداخلية السابق في عهد حكومة السراج، فتحي باشاغا الذي خرج عقب فشل ملتقى الحوار في جنيف عبر فيديو بثه على منصات

كما الثانية، وعندما عقد مؤتمر برلين الثاني مؤخرا وحمل بيانه الختامي مجموعة من البنود لم يحدد اليات معينة لتنفيذها، واكتفى بشعارات جذابة تدغدغ مشاعر الباحثين عن الأمن والاستقرار دون وسائل عملية تؤدي إلى الحصول على نتيجة تنهي الأزمة الليبية.

أراد من اشغلو بإشكاليات الانتخابات المتشابكة ودرورها القانونية من قوى خارجية وداخلية صرف الانتظار بعيدا عن بعض الأزمات الحقيقية التي تمثل جوهر استعادة عافية الدولة الأمنية ورونقها السياسي، وأبرزها عدم التطرق بجديّة إلى ملف العصابات المسلحة التي تضخمت بشكل مخفٍ قد يردع الكثير من الجهات الوطنية التي تفكر في الاقتراب منها أو حتى الحديث عن التخلص منها.

التواصل الاجتماعي ووجه فيه انتقادات حادة للدبيبة، وهو ما جعل الأخير يتهمه بالفشل على مدار ثمانية سنوات كان فيها جزءا من السلطة في طرابلس أو قريبا منها، فتيف يحاسب حكومة لم يرض على تشكيلها سوى ثلاثة أشهر.

تشير هذه التطورات إلى أن العملية السياسية يمكن أن تفلت من عقابها وتتوالى التنازلات بين القوى المتصارعة، بما يمنح فرصة للعصابات المسلحة الكامنة لتستعيد بريقتها، حيث يتزايد دورها مع احتدام النزاعات والتوترات، ما يؤكد في النهاية أن عملية التوصل إلى تسوية بعيدة عن ليبيا، لأن القوى الفاعلة في الداخل والخارج لم تقنعن بانها سوف تحقق أهدافها كاملة حتى الآن.

لا يختلف حال القوى الدولية عن المحلية، فالتناقضات تهيمن على الأولى

تجاهل هؤلاء أيضا العودة إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة لتوحيد المؤسسة العسكرية واستغرفوا وقتا طويلا في إعادة إنتاج مخاوف سابقة تعيد الفجوة بين الشرق والغرب، فهم يعلمون أن وجود مؤسسة أمنية منضبطة ونظامية وقوية وقادرة على تأمين الانتخابات سوف يمنع تزويرها ويضمن تنفيذ نتائجها، فلا معنى لعملية سياسية تحوي مخرجات يصعب تطبيقها على الأرض.

تفسر هذه الأجواء القاتمة أحد أسرار عودة تركيا للحديث مباشرة عن عدم خروجها من ليبيا، فقد قرأت المشهد بعناية ووجدت أن الصراع مستمر لأجل غير مسمى، فلماذا تضحى بما حققته من مكاسب متعددة، ما يقود للعودة إلى وعلى المجتمع الدولي تحمل مسؤوليته بعد أن عادت الأزمة إلى الخلف.

الجبان فرانك - فالتر شتاينماير

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي
رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدباني
كرم نعمة
منى المحروقي
مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العيوقبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

النازية متصلة في ألمانيا، طالما أن الجريمة ظلت تجد تبريرا، كائنا من كان الذي يرتكبها.

إنها شغف أيديولوجي بالقتل. وشتاينماير واحد من المصابين بهذا الشغف.

لقد أراد المنتصرون في الحرب العالمية الثانية أن تشعر ألمانيا بالعار حيال ما قامت به في أوروبا. وجعلوها تعيش، من خلال مناهج التعليم الجديدة، بمستوى من الشعور الدائم بالعار. ولكنهم لم يلحظوا أن مشاعر العار لا تبني بالضرورة موقفا صححيا من الناحية الإنسانية.

هناك ما يبرر الاعتقاد أن المنتصرين في الحرب لم يرغبوا بشيء أكثر من ذلك العار. الموقف الإنساني من الجريمة لم يكن شغلا من مشاغلهم، لاسيما وأنهم متورطون بجرائم كثيرة في كل أرجاء العالم الأخرى. والعار كان يكفي لكي تعيش ألمانيا كمهزوم ذليل.

السير إيريك جيديس، أميرال البحرية الأول والوزير في حكومة لويد جورج في سنوات الحرب العالمية الأولى، كان يقول "سوف نعصر ألمانيا كما نعصر الليمونة، حتى تصير خبيثا تهتا". وكان هذا هو الهدف من قصف مدينة دريسدن عاصمة سكسونيا، في أواخر الحرب العالمية الثانية في عهد رئيس الوزراء ونستون تشرشل، حتى تحولت إلى ركام. 722 طائرة بريطانية و527 طائرة أميركية القت في غضون ثلاثة أيام (بين 13 وال15 من فبراير 1945) 3900 طن من القنابل شديدة الانفجار والعبوات الحارقة على تلك المدينة، لا بقصد تحقيق أي امتياز عسكري (كانت ألمانيا على وشك الاستسلام أصلا) وإنما بقصد الإذلال؛ بقصد أن يتم عصر ألمانيا كما تُعصر الليمونة.

مشاعر الذل ما تزال قائمة إلى اليوم، وعلى أساسها يتعامل السياسيون الألمان مع إسرائيل.

والمسافة بين الذل وبين المشاعر الإنسانية أبعد ما تكون صالحة لاتخاذ موقف أخلاقي صحيح حيال أي جريمة. ولكن شتاينماير وأمثاله، لا يمارسون الذل وحده. إنه بتغطيته للجريمة، يشجع على المزيد منها، لأسباب عقائدية، ترى في قتل الأبرياء حلا للمشكلات، إلى حين يتوفر الاختصاص.

النازيون لم يبقوا في جرائمهم ضد شعوب أوروبا، فضلا عن اليهود والنجر، إلا على هذا الأساس.

وعلى الرغم من كل غسيل الدماغ الذي تعرض له الألمان على امتداد 75 عاما عقب هزيمة ألمانيا النازية، فقد أصبح الدفاع عن إسرائيل وعن جرائمها جزءا من عقيدة التطهر مما ارتكبه النازيون. ولكن عقيدة التطهر هذه أصبحت منطرفة إلى حد العمى، بحيث أصبح الدفاع عن إسرائيل هو الأساس فيها، وليس الدفاع عن القيم الإنسانية.

هناك فرق شاسع بين أن تدين الجرائم التي تعرض لها اليهود على أساس إنساني، وبين أن تحولها إلى ذريعة للدفاع عن إسرائيل.

الموقف الإنساني المناهض للجريمة يتعين أن يكون هو نفسه، سواء أكان الضحايا يهودا أو فلسطينيين أو آيا كانوا. بوجود اختصاص أو بعدم وجوده لا يحتاج الإنسان (لكي يكون إنسانا) أن ينتظر اختصاص أحد ما لإدانة جرم مكشوف ومشهود ومثبت ومتكرر وعنيد. أما الدفاع عن إسرائيل، فهذا شيء من عالم آخر، قد تكون له علاقة

بخصائص الجبن والاستخذاء حيال الجريمة، ولكن لا علاقة له بالقيم الإنسانية. ولا يحسن بمن يمارسه أن يقرن موقفه بقانون أو باختصاص. دفاع شتاينماير لا يزيد إسرائيل ولا يقصها، على أي حال. وهي لا تنتظر منه سوى أن يقول لها إنه ذليل إلى درجة أن يغمض عينيه عن جرائمها، لمجرد أن واحدا من أسلافه ارتكب جرائم ضد اليهود.

ثم من قال إن الإسرائيليين الذين يرتكبون جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في الحرب ضد الفلسطينيين هم يهود أصلا؟ من قال؟

مرتكبو الجرائم في إسرائيل ليسوا سوى عصابة، تنتمي إلى عقيدة سياسية صهيونية وليس إلى عقيدة دينية. اليهودية منهم براء، وهم براء منها. ما يجري في الواقع، هو خلط الحابل بالنابل لتغطية الجريمة بغطاء ديني، ثم تغطية هذا الغطاء بغطاء التبرؤ من جرائم أخرى. شيء ملتبس فعلا.

لقد صنعت السياسات الغربية من هذا الانتباس عقيدة للدفاع عن الجريمة، تخلط المجرمين بديانتهم، وتخلط الدفاع عن إسرائيل بإدانة ما تعرض له اليهود من قبل أن تكون هناك إسرائيل أصلا.

في الظروف الطبيعية، فإن أي شيء من هذا القبيل سوف يبدو مجرد اضطراب ذهني، يحتاج إلى علاج في أقرب مستشفى للأمراض العقلية. خاصة وأن المصابين به لا يدافعون عن جرائم ترتكب، ولكنهم يشجعون على استمرارها ويوفرون لها الغطاء. وهذا كثير على القيم الإنسانية.

وهل سبب "غياب الدولة الفلسطينية" يبرر لإسرائيل ما ترتكبه ضد حياة بشر أبرياء؟

ربما تكون هناك ملامسات تقنية حول ذلك "الغياب"، ولكن هل هناك أي شك في أن القتل العشوائي للبشر والجرائم اليومية التي ترتكبتها إسرائيل لا بد وأن يكون من اختصاص أحد ما؟

في عالم الجبن الذي ينتسب إليه شتاينماير قد تكون الملامسات التقنية هي الغطاء الذي يتستر خلفه الرعديون من أمثاله، لكي يجسدوا كيف أن "الأمم" التي تزعم أنها متقدمة هي أكثر انحطاطا أخلاقيا في الواقع من أي قبيلة من قبائل الهمج الأستكديانيين في عصور ما قبل تكون البشر كبشر. ولكن الجريمة جريمة في النهاية، ولا بد لها من عقاب، ولا بد أن يكون لأحد ما فيها "اختصاص".

لقد أثبت شتاينماير بموقفه هذا أن النازية ما تزال هي القوة الحاكمة في العقل السياسي الألماني. والأساس في ذلك هو أن قتل الأبرياء أمر مبرر ويمكن تغطيته والبحث عن ذرائع له.

علي الصراف
كاتب عراقي

لم يقدم الرئيس الألماني فرانك - فالتر شتاينماير، وهو يستعد لزيارة إسرائيل، دليلا على شيء سوى أنه جبان.

ولا أحد يعرف ما قيمة رجل جبان. أو ما إذا كان يساوي فردة حذاء. وهو ربما أراد أن يثبت أنه ليس جباناً في السياسة فقط ولكنه جبان على نحو دائم، حتى ولو تحدث عن أحوال الطقس.

هذا الرعدي الأصم، قال في حديث مع صحيفة هارتس، إن "موقف الحكومة الألمانية هو أن محكمة الجنائيات الدولية، ليس لها اختصاص في هذا الموضوع بسبب غياب الدولة الفلسطينية".

وحيث أن إسرائيل ترتكب جرائم حرب مكشوفة ومشهودة ومثبتة ومتكررة وعنيدة، فالسؤال الذي لا أتوقع لجبان أن يجيب عليه هو: من ذا الذي يملك الاختصاص إن؟

